

عبد العزيز على مرزوق

كان العلامة داود الأنطاكى المتوفى عام 1008هـ مشتغلًا بعلم المكتوبين (المتشريع) كواحد من أهم اهتماماته، ففتح الله عليه بتفسير آية من كتاب الله في ضوء ما ثبت لديه من حقائق في مجال تخصصه، وكانت هذه الآية هي قوله تعالى:

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ) المؤمنون الآية (12)

فربط بين المدلّات المظاهرة للأفاظ الآية المكرّمة وبين الحقائق العلمية التي شاهدها في علم التشريع، لذا يمكن اعتباره أول من كتب في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. وقد نظر العلامة مصطفى صادق المراغي فيما كتبه داود الأنطاكى في تفسيره لهذه الآية، وقارنه بما جاء في علم التشريح الحديث فوجده مطابقًا لما في هذا العلم الحديث، وكتب تعليقًا علميًّا على كلمة (مكين) و(العلقة) فقال:

1- في وصف القرار بأنه (مكين) إعجاز يفهمه الأطباء والمذين درسوا التشريح، فقد ثبت أن المرحوم مجهز في تكوينه وفي خصائصه بما يمكن أشد المتكلمين للجروثومة التي يكون منها الملقاء، ففيه مخابئ عجيبة خلقت لذلك خلقاً، ثم مواد منفرزة لواقيتها وحفظ الحياة عليها والمدفع عنها أن تقتلها المواد الحامضة، وذلك كله تجده في تفسير كلمة (مكين).

2- لم يكن العرب يعرفون من كلمة (العلقة والعلق) إلا أنها الدم الجامد، ولكن الكلمة إعجاز كإعجاز (مكين) التي تقدم شرحها: فقد ثبت في آخر ما انتهى إليه تكوين الجنين أن الجروثومة التي يكون منها الملقاء في ماء الرجل تعلو رأسها ذازعة كالسنان، فتهاجم المبويبة في المرحوم وتبع جها بسلاحيها فتخرقها وتتعلق بها، فإذا هما قد امتزجا، فهو هذا هو المسر في تسمية المتحول الأول لللنفة (علقة) وتأمل قوله (يجعلنا) فإن فيها كل هذه الحركة بين الجروثومة والمبويبة، ثم قال المراغي: وقد قرأنا هذه الآية المكرّمة على طبيب مسيحي محقق فاضل من أصدقائنا ونبهناه إلى هذه المدقائق فيها فقال: (آمنت بما أنزل على محمد).